الفصل السادس

تأثير الجوانب السلبية للتليفزيون على الأطفال

الفصل السادس

الجوانب السلبية للتليفزيون على الأطفال

منذ خرج اختراع التليفزيون إلى الوجود لم تعد القضية أن يشاهد الناس برامجه وتمثيلياته ومسلسلاته وغيرها أو لا يشاهدونها، فلقد فرض نفسه عليهم ضيفاً مرحباً به البعض يتحلقون حوله، وينتظرون مواعيد بثه، بل ويشكلون أوضاع أثاث منازلهم لتناسب الجلوس أمامه[١]. كما أنه فرض نفسه على آخرين ينتقدون برامجه، ويعترضون على محتوى كثير منها، ورغم ذلك لم يستطيعوا أن يمنعوا أنفسهم أو ذويهم من متابعة ما يقدم.. ومن نقده في الوقت ذاته!

وبعد مرور كثير من الوقت ظهرت كتابات كثيرة، وأجريت بحوث بعضها علمي والبعض الآخر غير ذلك، ثبت من خلالها أن ذلك الاختراع الذي سعى إليه الكثيرون بالامتلاك والاقتناء فيه من المضار الشيء الكثير الذي ربما ما كان يخطر على بال أحد. وبطبيعة الحال فإن هناك نقطة ينبغي توضيحها وهي أن العيب ليس في الجهاز في حد ذاته، ولكنه في البشر الذين يتولون إعداد البرامج.. كتابة وإخراجاً وتمثيلاً، ثم تقديمها لبني

---

(١) ديفيد إنجلاند، مرجع سابق.

جنسهم، كما أنه في استيراد كثير من البرامج من مجتمعات تختلف كثيراً. . بل تختلف جذريا عن مجتمعاتنا في قيمها وعاداتها وتقاليدها، ومن هنا فالعيب راجع في جزء كبير منه إلينا نحن أكثر مما هو راجع لذلك الجهاز الذي وجهنا - ولازلنا نوجه إليه، أصابع الاتهام!

ولعلنا نستعرض بعضاً من سلبيات مشاهدة التليفزيون، وخصوصا ما يتعلق بالأطفال، وبالتحديد أطفال منطقة الخليج.

أولاً: برامج العنف التي يعرضها التليفزيون على الأطفال:

ويعتبر هذا الجانب من أخطر ما يقدم للأطفال في سنهم الباكرة، وهو بلاشك يلعب دوراً خطيراً في تشكيل شخصياتهم، والأرقام في هذا الجانب مخيفة بكل المعايير، ويكفي أن نشير إلى بعض الأمثلة الدالة عليها. «إن الطفل الأمريكي - على سبيل المثال- حين يبلغ الثانية عشرة من عمره يكون قد شاهد اثنتي عشرة ألف جريمة قتل في التليفزيون كما تقول الإحصاءات. . وقد أطلق أحد الباحثين- نتيجة لما سبق- على التليفزيون «مدرسة الجريمة»، كما صرح الرئيس الأمريكي الأسبق جون كيندي بأن الجريمة قد زادت بسبب التليفزيون، وأن مكافحة انحراف الأحداث تكلف بلاده خمسة ملايين دولار سنوياً*[1].

كذلك أثبت عدد من الدراسات العلمية المتعلقة بتأثير العنف التليفزيوني، وعدد من الدراسات المتعلقة بالسلوك الاجتماعي المرغوب،

(*) خلال صيف عام (١٩٩٤م) ثارت قضية خلافية كبرى بين الرئيس الأمريكي كلينتون والكونجرس وكان محورها طلب الرئيس الموافقة على اعتماد مبلغ ٣٠ مليار دولار، وتعيين ١٠٠ ألف ضابط جديد، لمقاومة الجريمة في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن هنا يبدو الرقم الذي قاله كيندي في بداية الستينات متواضعاً جدا في الوقت الحاضر.

(١) عاطف شحاتة زهران، ضحايا العنف في التليفزيون، مجلة الفيصل، العدد (٢٠٤) جمادى الآخرة ١٤١٤هـ، ص ٨٦.

والتي أجريت على الأطفال، على أساس نظرية التعلم عن طريق الملاحظة. . أثبتت أن التعرض لمشاهدة السلوك العدواني من خلال الأفلام يزيد من رد الفعل العدواني لدى الأطفال[١].

ويحدثنا أحد الباحثين عن دور التليفزيون في تسهيل ارتكاب الجريمة عن طريق عرض وسائل العنف المتعددة، والجرائم باختلاف أنواعها، من خطف وقتل واغتصاب وسرقة إلى غيرها، بأسلوب توضيحي. . بل والمهارات المستخدمة في ذلك، مما قد يدفع البعض إلى المحاكاة. ولقد بينت دراسات عديدة وجود علاقة وثيقة بين السلوك الإجرامي وبين وسائل الإعلام. وقد وجد أن الأطفال يقلدون الأفلام التي تعرض قضايا الإجرام بأنواعها، وأن معدل الجرائم يرتفع في المجتمع نتيجة لعرض تلك الأفلام الإجرامية[٢].

بل إن علماء النفس - أعداد كبيرة منهم على الأقل - لديهم اعتقاد بأن استمرارية مشاهدة الأطفال للأفلام العنيفة التي تستخدم فيها الأسلحة النارية أو السكاكين أو الأيدى، لا بد وأن تترك أثراً عليهم، حيث تنمي لديهم بعض المشاعر العدوانية، بل وقد تكسبهم بعض أنماط السلوك العدواني.

وتبين نتائج بعض الاختبارات الشخصية النفسية التي طبقت على الأطفال أن الذين يقضون منهم وقتاً طويلاً في مشاهدة برامج العنف في التليفزيون لديهم ميول عدوانية بنسبة أكبر من الأطفال الذين لا يشاهدون العنف فيه[٣].

---

(١) فوزية العلي، التليفزيون والطفل، مجلة شؤون اجتماعية، العدد الثلاثون، ص ص ١٠١-١٠٢.

(٢) سلطان عبد العزيز العنقري: وسائل الإعلام (التليفزيون) وتأثيرها على الطفل، ضمن بحوث ندوة وسائل الإعلام والطفل، جامعة الملك سعود، مرجع سابق، ص٥.

(٣) المرجع السابق، ص ص ٦-٨.

ويشير الدكتور إبراهيم إمام محمود (١٩٨٧م) في بحثه «موقف الإعلام من التحدي القائم بين الحضارة الحديثة والشباب العربي» إلى أن الطبيب الأمريكي ستيفن بانا، وهو أستاذ بجامعة كولومبيا، يقول: إذا صح أن السجن هو جامعة الجريمة فإن التليفزيون هو المدرسة الإعدادية لانحراف الشباب».

ومن الولايات المتحدة الأمريكية إلى ألمانيا، ومن بريطانيا إلى مصر ثم إلى أسبانيا أثبتت التحقيقات التي أجرتها الجهات الأمنية في أعقاب عدد من حوادث القتل في قطارات الأنفاق، واستخدام الأسلحة الرشاشة، ومهاجمة العجائز في منازلهن بغية الحصول على مدخراتهن أو مصاغهن، نقول أثبتت التحقيقات أن هذه الجرائم قد ارتكبت بعد أن شاهد أصحابها أفلاماً قريبة جدا منها، بل إن تلك الجرائم جاءت نتيجة لمشاهدة تلك الأفلام ومحاولة تطبيقها في الواقع، وذلك كما جاء في اعترافات أولئك المنحرفين الذين اقترفوها.

وإذا كانت معظم البرامج التليفزيونية التي تبث في منطقة الخليج العربي تأتي من الولايات المتحدة الأمريكية، ومن مصر.. بالدرجة الأولي، وإذا كانت هذه البرامج - وبخاصة أفلام العنف منها - قد تركت آثارها على أطفال وشباب تلك المجتمعات التي أنتجتها فإن الباحث يستطيع أن يستنتج وهو آمن من مغبة المغالاة، أن تلك الآثار سوف تظهر على أطفال وشباب الخليج الذين يشاهدونها، إن لم تكن قد ظهرت بالفعل في بعض بلدان الخليج.

ولعل ما سبق هو الذي دفع إحدى الكاتبات إلى القول بأنه قد «تكونت

(١) المرجع السابق، ص ص ١٠-١١.

داخل مجتمعنا عصابات تقلد أبطال الروايات المعروضة، تتفاهم بالسلاح، وتتخاطب بالقذائف، وتتخاطر على البعد بالأساليب البوليسية في التجسس. . كل ذلك بعد أن أصبحت أجهزة التليفزيون مدرسة في الإجرام لا يوجد ما هو أوسع منها انتشاراً، ولا أفظع منها للأخلاق تدميراً[١].

ويضيف أحد الباحثين بعدا آخر؛ حيث ينبه إلى أن التليفزيون لا يقدم الانحراف للأطفال والشباب من خلال الأفلام والتمثيليات فقط، ولكن من خلال الإعلانات التجارية كذلك. يقول عبد الصمد: «إن أطفالنا يريدون الجريمة، وكذا الجنس، بل وسائر الانحرافات الاجتماعية في سياق التمثيليات والأفلام التي تعرض من خلال التليفزيون. . حتى الإعلانات المعروضة على شاشته لا يوجد عليها أية رقابة فعالة، بينما كان من المفروض أن تكون هناك لجنة رقابة ومتابعة، تشكل من إخصائيين اجتماعيين ونفسيين لتقرير صلاحية هذا الإعلان أو ذاك أو عدم صلاحيته[٢].

ويفصل الكاتب رأيه قائلاً إن أكثر من ٩٠٪ من الإعلانات مستوردة بالصورة، وهنا يتم عمل دوبلاج للصوت؛ لأن الشركات الأجنبية صاحبة الامتياز تصر على هذا الشكل، بلا أي تعديل، وهنا تكمن الخطورة، لأن العملية ليست مجرد استيراد إعلانات أو مسلسلات، ولكن الخطورة تكمن في استيراد قيم غريبة عن مجتمعنا، تختلف كل الاختلاف عن مثلنا ومبادئنا الدينية.

وتوضح الدراسات أن المشاهدين يتقمصون الشخصيات التليفزيونية،

---

(١) منى حداد يكن، أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ، ص ص ٣٤-٣٥.

(٢) محمد كامل عبد الصمد، التليفزيون بين الهدم والبناء، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص ١٣.

وأن الأطفال يكررون السلوك الذي يشاهدونه على الشاشة؛ حيث ثبت نفسيا أن التليفزيون يؤثر في مفهوم الأطفال عن أمور الحياة وقيمها، كما يؤثر في مشاعرهم وأحاسيسهم؛ إذ من الطبيعي أن يتأثر الأطفال بما يرونه من قصص خيالية وخرافية تثير فيهم مشاعر الخوف والرعب، كما أن ما يعرض على الأطفال من مشاهد العنف والعدوان ينعكس، بصورة أو بأخرى في سلوكهم الشخصي، فالعنف في التليفزيون يتسبب في إيجاد العنف والجنوح في الحياة الواقعية، كما يقول عيسوي[(١)].

ويحدثنا السنعوسي عن أن «عرض برامج العنف والجريمة بكثافة عالية سوف يؤدي إلى تعلم الأطفال بعض الخبرات التي تقودهم في النهاية إلى الجنوح وارتكاب الجريمة، وإلى تمثيل العنف كقيمة اجتماعية، تطبع في سلوكهم واتجاهاتهم ومواقفهم نحو المجتمع. إن الكثير من الأطفال الجانحين يرتكبون أعمالاً خارجة عن القانون دون وجود أسباب معقولة تعلل سلوكهم، كما أن ازدياد ظاهرة الجنوح بين الأطفال ترتبط إلى درجة كبيرة بعرض هذا الكم الكبير من برامج العنف والجريمة على شاشة التليفزيون.

كذلك فإن بث التليفزيون لهذا النوع من البرامج - برامج العنف والجريمة - يجعل منه مدرسة ترغب الأطفال بالعنف والجريمة، وتبرز الرغبة الكامنة للعنف في النفس البشرية وتكرسها، وتشرح السبل والوسائل التي تحقق ذلك لهم[(٢)].

---

(١) عبد الرحمن عيسوي، الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون العربي.

(٢) محمد السنعوسي: التليفزيون والأطفال، ضمن بحوث «الطفل والمجتمع: دراسات في التنشئة الاجتماعية للأطفال، تحرير محمد جواد رضا، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، نوفمبر ١٩٩٣م، ص ٣٣٤.

هذا وقد نشرت منظمة الائتلاف الدولي ضد العنف التليفزيوني) بحثاً استغرق إجراؤه ٢٢ عاماً أظهر الأثر التراكمي للتليفزيون الذي يمتد حتى عشرين سنة لتظهر نتائجه. قال البحث: «هناك علاقة مباشرة بين أفلام العنف التليفزيوني في الستينات وارتفاع الجريمة في السبعينات. وقالت المنظمة إن ما يتراوح بين ٢٥٪ و٥٠٪ من أعمال العنف في سائر أنحاء العالم سببها مشاهدة العنف في التليفزيون والسينما، وإن العروض التليفزيونية الأمريكية العنيفة التي تعرض في سائر أنحاء العالم ساعدت على انتشار الجريمة. ويقول الدكتور رويال هيوزمان، أحد المشاركين في تلك الدراسة: إن هذه النتائج هي أول سجل للآثار البعيدة المدى لمشاهد العنف التليفزيوني، ويقول أيضاً إن ذلك يجعل الأطفال يكتسبون عادات عدوانية، بحيث يصبحون - عندما تتقدم بهم السن - أكثر ميلاً إلى الأعمال الإجرامية»[(١)].

ويرى الدكتور إمام احتمال أن جميع الأطفال قد يتعلمون نماذج سلوكية معادية للمجتمع من وسائل الإعلام. ويقوم الأطفال بتقليد السلوك الإجرامي في الظروف التي تكون فيها المعايير الاجتماعية ضعيفة أو غير فاعلة[(٢)].

ويحدثنا الكاتب مروان كجك عن جرائم لأطفال صغار في عمر الزهور ارتكبت في مصر، وكان التليفزيون- ببرامجه- هو المحرك الأول لارتكابها، فمن حرائق شبت في عدد من المدارس، إلى تخريب لخزائن مدارس أخرى، ومن إتلاف للملفات إلى تمزيق للشهادات والكتب

(١) مروان كجك، الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتليفزيون، دار الكلمة الطيبة، القاهرة، ١٤٠٧هـ -١٩٨٦م، ص ١٢٩.

(٢) إبراهيم إمام، الإعلام الإذاعي والتليفزيوني، القاهرة، ص١٣٤.

والمستندات، وكان تعقيب أحد رجال الأمن المسؤولين الذين تولوا التحقيق في كثير منها هو أنها «تقليد لأعمال بعض الشخصيات الإجرامية التي ظهرت على الشاشة الصغيرة في التليفزيون المصري. كما أدلى أستاذ معروف لطب النفس بدلوه في القضية حين قال - تحليلاً للظاهرة- بأنها نتائج مباشرة لمسلسلات العنف في التليفزيون، والتي لها تأثير مباشر على الشباب الصغار في سن المراهقة»[١].

ويعلق أستاذ علم النفس والباحثون منهم في مجال سيكلوجية الطفولة والمراهقة خاصة على موضوع العدوان المكتسب من التليفزيون بالتحديد قائلين بأنه ما دام الطفل يقضي وقتاً في مشاهدة التليفزيون أكثر مما يقضي في أي نشاط أخر - عدا النوم- فإنه عندما يصل إلى سن المراهقة يكون قد شاهد عدداً من الساعات تصل جملتها إلى ما يزيد على خمسة عشر ألف ساعة، ونتيجة لذلك فإن هذا الطفل لا يملك إلا أن يتأثر بهذا التليفزيون، سواء أكان هذا التأثر حسناً أم سيئاً.

ويمضي هؤلاء الباحثون ليوضحوا أكثر؛ حيث «تم مسح البرامج في التليفزيون الأمريكي على امتداد فترة ست سنوات فتبين أن حوالى سبعين بالمائة منها يتضمن واقعة واحدة على الأقل من وقائع العنف، وأن متوسط معدل وقائع العنف في الساعة الواحدة ثماني وقائع، ومما يزيد الأمر سوءا أن أفعال العدوان يتم تقديمها على أنها أساليب ناجحة لتناول الصراعات والخلافات.

وهناك أمور وقعت في بعض بلاد عالمنا العربي نتيجة مشاهدة الأطفال

---

(١)مروان كجك، مرجع سابق، ص ص ١٣٧-١٤٠.

لبعض برامج التليفزيون البعيدة عن الواقع، وكانت نتائجها مؤلمة، حقيقة لم تأخذ شكل الظاهرة، ولكنها وقعت. يقول غراب: «تبدو خطورة الإعلام الموجه من دول أجنبية إلى منطقتنا العربية في كل ما يستخدمه الطفل من خلال قنوات نقل المعلومات عن طريق التليفزيون.. لقد حدث في إحدى الدول العربية إذاعة مرئية لمسلسل للأطفال يسمى (فرافيرو). وهو شبيه بـ(قرانديزر والسوبرمان). وفرافيرو هذا هو أحد الأشكال المبتكرة لـ(والت ديزني)، أو التي تنتمي إلى أشكاله، وهو يطير من فوق المباني ومن فوق الأماكن العالية، ويصيح في كل مرة أنه قادم، وحدث أن أراد أحد الأطفال تقليده فخرج إلى سطح المبنى الشاهق الذي يسكن به وألقى بنفسه من علو ستة طوابق متخيلاً بأن الهواء سيحمله كما حمل «فرافيرو».. واستخدام الأطفال في بعض الدول لأدوات حادة يرتكبون بها أعمالاً وخيمة العواقب يمكن رده إلى لعبة الطفل في الصغر أو ما شاهده من أفلام أو مسلسلات بطريقة مباشرة أو غير مباشرة»[(١)].

وحتى نختم هذا الجانب المتعلق بجوانب العنف والجريمة التي تعرضها الشاشة الصغيرة، سواء من الأفلام والبرامج المستوردة إلى دول الخليج العربية من دول أجنبية تختلف عنا في ثقافاتها وعاداتها وتقاليدها وقيمها، أو حتى من الأفلام والبرامج المنتجة في بعض البلاد العربية، يكفي أن نقول إن علماء التربية وعلماء الاجتماع والمسؤولين عن الأمن، وكذا القضاة أصبح لديهم قناعة تامة بوجود علاقة موجبة بين مشاهد العنف على الشاشة الصغيرة وبين انتقال ذلك العنف إلى سلوكيات الناشئة وتأثرهم به، وذلك

---

(١) يوسف خليفة غراب، التأثير السلبي للإعلام غير الموجه على الطفل العربي، مجلة القافلة، العدد السادس، المجلد الثامن والثلاثون، جمادى الآخرة ١٤١٠هـ/ ديسمبر ٨٩ - يناير ١٩٩٠م ص٨.

كما ثبت من البحوث العلمية، وكما تجمع في المحاكم ومراكز البوليس[١].

ثامنا: إضاعة الوقت:

من أخطر الأمور في حياة الأمم والشعوب أن ينشأ أطفالها والشباب على الاستهانة بعنصر الوقت، وعلى التعود على إضاعته والتفريط فيه بيسر، وكأن الأمر لا يهم، أو كأن الأمة لديها من الوقت مخزونا لا ينفد، علماً بأن الفرق بين شعوب نشيطة واعية متقدمة وبين غيرها تعود في جزء أساسي منها إلى استثمار عنصر الوقت في كل ما يفيد، والحرص عليه وعدم التفريط فيه؛ لأنه - ببساطة - هو الحياة ذاتها، وقد سبق أن نبهنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى ذلك حين أوضح لنا أن الإنسان المسلم لن تزول قدماه يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به. وهكذا نرى أن للوقت قيمة عظمى في حياة المسلمين، وأنه ينبغي الحرص عليه وعدم تضييعه إلا فيما يفيد.

وجاء التليفزيون ليأخذ من وقت الإنسان جزءاً غير يسير، بل إنه يأخذ منه جزءًا كبيراً بكل المعايير. يقول ديفيد إنجلاند، مؤلف كتاب «التليفزيون وتربية الأطفال» والخبير المتعمق في هذا المجال: «إن تحكم شبكات التليفزيون الرئيسة في أوقات الأطفال يعتبر من الأمور المخيفة فعلاً، بصرف النظر عن جودة البرامج وعن محتواها، مهما كانت، فإن الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون لمدة ست ساعات في اليوم، أو حتى لمدة ثلاث ساعات فقط، هؤلاء الأطفال - على وجه اليقين - قد حرموا مما يمكن أن يعتبره معظمنا حياة الطفولة المعادية[٢].

---

(١) نور الدين عبد الجواد، مرجع سابق، ص ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٢) ديفيد إنجلاند، مرجع سابق.

ويستدرك الكاتب السابق، وهو الخبير الواعي في المجال، قائلا: وعلي الرغم من أن لدينا آباء وأمهات أهملوا أولادهم وتركوهم كلية لمشاهدة التليفزيون إلا أن صناعة التليفزيون ليست حرة على الإطلاق في مقابلة مسؤولياتها الاجتماعية بشكل كامل وواف، ولكن لا يزال الأمر، في غايته النهائية، في أيدى الآباء والأمهات، إذا ما سيطروا على أوقات أبنائهم التي يقضونها في مشاهدة التليفزيون، بغض النظر عما تقرر محطات التليفزيون الرئيسة وشبكاته أن تبث من برامج ومنوعات»[١]، فالأمر عنده هو أن المسؤولية بالدرجة الأولى- في هذا الجانب - هي مسؤولية أولياء الأمور بالدرجة الأولى.

هذا ويتحدث العلماء عن تزايد مشاهدة التليفزيون باطراد خلال فترة ما قبل سن الدراسة وأثناء المرحلة الابتدائية إلى أن تصل إلى أعلى مستوى لها ما بين سن العاشرة والثانية عشرة، ثم تبدأ في الانخفاض أثناء فترة المراهقة؛ حيث يصل الأطفال إلى مستوى من النمو العقلي والمعرفي، بحيث يتوقف التليفزيون عن كونه مصدر إبهام وإثارة لهم[٢].

أما بالنسبة للوقت الذي يقضيه الأطفال أمام التليفزيون فهناك دراسات أجنبية تقدره بحوالي ٢٨ ساعة في الأسبوع، أي بمعدل أربع ساعات يوميا في أمريكا وكندا، ولكن المعدل ينخفض في السويد إلى ما بين ساعتين وساعتين ونصف، ولا يزيد هذا المعدل عن ساعة ونصف في النرويج، وذلك كما نقل الباحث السابق عن أصحاب تلك الدراسات من العلماء الأجانب[٣].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) منصور علي بن كدسة، مرجع سابق، ص ٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٩.

ولكن القارئ العربي ينبغي أن يكون واعياً لبعد مهم تنبه له د. الغنام عليه رحمة الله، وهو أننا لا ينبغي أن نقيم المقارنات بين الأوقات التي يقضيها أطفالنا - نحن العرب -وخصوصا في منطقة الخليج، والأوقات التي يقضيها أطفال المجتمعات الغربية أمام شاشة التليفزيون، يقول الغنام: «وإذا كان الطفل في العاشرة من عمره في أوروبا مثلاً يقضي أربعاً وعشرين ساعة أسبوعيا في مشاهدة التليفزيون - كما تشير إلى ذلك إحدى الدراسات- فإن أكثر ما يتعرض له هناك عبارة عن برامج تربوية مدروسة ومنسجمة في معظم الأحوال مع ثقافة مجتمعه واتجاهاته، وجلها من صنع خبراء وفنيين في التربية، أو لهم إلمام بالتربية. وحتى البرامج، وكذا الأفلام التي يتم تصميمها وتنفيذها لغير الأطفال عليها ضوابط أسرية ومجتمعية.. وقانونية أحياناً تجعل التعرض لها من جانب الطفل مشروطاً أو محدودا للغاية. وفوق كل هذا فإن المدرسة قد نجحت في استيعاب جزء من البرامج التليفزيونية بين جدرانها وفي صلب عملها، كما أنها - أي المدرسة - تتحمل مسؤوليتها في تعليم أطفالها كيف يتعاملون مع وسائل الإعلام، وكيف يميزون بين الغث والسمين فيما تقدم لهم وكيف يتحيزون في معظم الأحوال لما ينفع ويفيد»[(١)].

فهل إذا رجعنا إلى عالمنا ونظرنا إلى ما تقدمه وسائل الإعلام عندنا للأطفال، أطفالنا، هل نجد هذا البعد التربوي المهم متمثلاً فيها؟ وهل المدرسة عندنا تستشعر هذه المسؤوليات ومن ثم تقوم بواجبها المطلوب منها؟ نعتقد أن الإجابة عليه لا تحتاج لعميق فكر ولا لكثير عناء، فإجابته معروفة لنا جميعاً دون أن نخدع أنفسنا، ودون حاجة لدفن رؤوسنا في الرمال.

ويؤكد أحد الباحثين نقلاً عن نواف عدوان قوله بأن «الأطفال في العالم

---

(١) محمد أحمد الغنام، مرجع سابق، ص ص ٥٦-٥٧.

العربي، وفي السعودية بوجه خاص، يصرفون ما يزيد على ثلاث وثلاثين ساعة في الصيف وأربع وعشرين ساعة في الشتاء أمام جهاز التليفزيون»[(١)].

ولو فرض وقمنا بعملية حسابية بسيطة تأخذ في اعتبارها أن الطفل يبدأ في الانجذاب نحو الشاشة الصغيرة منذ السنة الثانية من عمره، ويستمر في ذلك حتى يصل إلى سن المراهقة فمما لا شك فيه أن الطفل يضيع من عمره آلاف الساعات أمام ذلك الجهاز، ولو كان هناك تخطيط تربوي سليم لبرامج التليفزيون عندنا لما كنا استخدمنا لفظ «يضيع» وبخاصة أن معظم ما يشاهده الطفل من برامج وتمثيليات يأتي من خارج منطقتنا العربية من مجتمعات لا تدين بديننا، وليس لديها قيمنا أو تقاليدنا، كما أنه - على وجه اليقين - لا يهم مخططي برامجها أن ينشأ أبناؤنا تنشئة صالحة، بل ربما العكس هو الصحيح تماماً.

وبتفصيل أكثر تحديداً ودقة للوقت الذي يقضيه الأطفال في العالم العربي، في بعض بلدانه على الأقل، يضع الحمداني يدنا على أرقام خطيرة، يقول: تدل الدراسات على أن البيوت التي يدخلها التليفزيون يتأخر أطفالها في النوم، ويقدر معدل التأخر في النوم - كما دلت الدراسات عبر العالم - بحوالي ربع ساعة. وتشير الدراسات أيضاً إلى هبوط ضئيل في الوقت الذي يقضيه الطفل في القيام بواجباته البيتية- المدرسية، ويزداد تأخرهم عن موعد نومهم إلى ٦٥ دقيقة أيام الآحاد.

ولعل أكثر ما يدهش الدراسين في هذا الموضوع - لا يزال الحديث للحمداني-هو جملة الوقت الذي يقضيه الطفل أمام التليفزيون، وأن الطفل

---

(١) عبد اللطيف دبيان العوفي، مرجع سابق، ص ١.
- التليفزيون وثقافة الطفل (بيليوغرافيا شارحة مختارة للإنتاج الفكري الأجنبي)، اختيار وترجمة عاطف عدلي العبد، مجلة البحوث، المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين في اتحادات إذاعات الدول العربية، بغداد، العدد ٢٤، ديسمبر ١٩٨٨م، ص ١٢٤.

الاعتيادي في سن (٦ - ١٦ سنة) يقضي ما بين (٥٠٠-١٠٠٠ساعة) في السنة الواحدة أمام التليفزيون . . وهذا يعني أن ما يقضيه الطفل أمام التليفزيون خلال سنوات الدراسة (١٢سنة) يساوي ٦٠٠٠ - ١٢٠٠٠ساعة تقريبا، وإذا طرحنا من الأيام المدرسية العطل والأعياد يكون ما يقضيه الطفل أمام التليفزيون أكثر مما يقضيه في المدرسة[٤٠] !

ولسنا في حاجة بعد ذلك إلى القول بأن تأثير التليفزيون على الأطفال هو أشد بالقطع من تأثير المدرسة أخذا في الحسبان أن الأطفال في كثير من الأحيان يدفعون للذهاب إلى المدرسة دفعا، بينما يجلسون هم من أنفسهم إلى التليفزيون . . بل ويسعون للبقاء مدة أطول أمامه، وأخذا في الحسبان كذلك ما تقدمه المدرسة وما يقدمه التليفزيون، فلا وجه للمقارنة بين المناهج والمقررات الجامدة التي تقدم للأطفال في المدارس، والبرامج والتمثيليات الجذابة التي يقدمها التليفزيون. وأخيراً لا وجه للمقارنة بين الذين يتعاملون مع الأطفال في المدرسة والشخصيات التي يراها في التليفزيون، ولا داعي للإشارة للجو المريح الذي يجلس فيه الأطفال حين مشاهدتهم لبرامج التليفزيون، والمقارنة مع جو المدرسة الذي يعيشون فيه طوال فترة الدراسة.

ثالثاً: العزلة الاجتماعية داخل الأسرة:

من المشكلات التي صاحبت انتشار التليفزيون أن الأفراد داخل الأسرة الواحدة أصبح كل واحد منهم معزولاً عن الآخرين، سواء كانت هذه العزلة جسمانية، أي على شكل الانفصال عن الآخرين عند مشاهدة بعض البرامج، وخصوصا في منطقة الخليج، بسبب بحبوحة العيش التي أتاحت

---

(١) موفق الحمداني، تأثير التليفزيون على الأطفال، مجلة البحوث، المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين، العدد الثاني، بغداد ٢ أبريل ١٩٧٩م، ص ص ٣٠-٣١.

لكل فرد تقريباً أن يمتلك جهاز تليفزيون خاصا به في حجرته، أو كانت هذه العزلة معنوية حين يجلس نفر من أفراد الأسرة لمشاهدة بعض البرامج سويا، ولكن يلفهم الصمت التام، حيث يعيش كل فرد منهم منفرداً بمشاعره مع أحداث البرنامج أو الفيلم الذي يشاهدونه أو التمثيلية؛ إذ إن الكبار يكون لهم منظورهم في تلك المشاهد، بينما يتلقاها الشباب والمراهقون بمشاعر مختلفة.. وهكذا الأطفال، وذلك ما دفع بعض الكتاب والمفكرين لأن يطلقوا على جهاز التليفزيون صفة «المجمع المفرق»؛ لأنه جمع الناس أجساماً وأبداناً، ولكنه فرقهم أفكاراً ووجدانات ومشاعر، ولعل هذا الوضع هو الذي دفع البعض للقول بأن التليفزيون «يؤدي إلى ازدياد بقاء أفراد الأسرة في المنزل، ولكن العلاقة بينهم لا تتعدى الوجود الجسماني»[١].

ويتحدث واحد من المفكرين عن جهاز (الفيديو) وأثره في العزلة الاجتماعية حتى داخل الأسرة الواحدة، وجهاز الفيديو بطبيعة الحال قرين جهاز التليفزيون؛ حيث لا يمكن أن يعمل بدونه، يقول الشبيلي: «وساعدت الطبيعة الخاصة لهذا الجهاز (الفيديو) على أن يصبح لدى كل منا محطة التليفزيون الخاصة به.. وهذا يعنى أن عدد محطات التليفزيون في بلادنا - المملكة العربية السعودية - قد تعددت بتعدد الأجهزة الموجودة في كل بيت، الأمر الذي أدى ويؤدي إلى إشعار الناس بالعزلة الفكرية، إن لم نقل بالعزلة الاجتماعية أيضاً، فلقد أصبح كل مواطن محبوساً داخل ذاته، دون مشاركة جماعية مع الآخرين.. حتى مع الأسرة ذاتها. لقد أصبح معظم الشباب - بسبب هذا الجهاز - مجرد آحاد من الناس، ولم تعد

(١) التليفزيون وثقافة الطفل، مرجع سابق، ص ١٢٨.

جماعة واحدة، أو جماعات أسرية متجانسة. لقد فقدنا عنصر التواصل الذي يتحدث عنه رجال الإعلام ورجال الثقافة، وهذا الفقدان المتواصل مع الآخرين يؤدي إلى الإحساس النفسي الشديد بالغربة، حتى وأنت مع الناس»[(١)].

ولعل فكرة كثرة انتشار أجهزة التليفزيون في دول الخليج العربية، ومن ثم انعزال كل فرد أو فردين بجهاز لمشاهدته بعيداً عن بقية أفراد الأسرة، لعل هذه الفكرة تؤيدها بعض الإحصاءات التي تقول بأن متوسط ما لدى الأسرة السعودية ثلاثة أجهزة للتليفزيون، وهو متوسط كبير بكل المعايير.

رابعاً: عزلة الطفل وانفصامه عن الواقع:

من الأمور التي ينبغي أن نتنبه لها أن التليفزيون بقدر ما يشد الأطفال إلى عالمه وإلى ما يجري في ذلك العالم، إلا أنه يعزلهم عن واقعهم الحقيقي، وربما عن واقع مجتمعهم الصغير، مجتمع الأسرة، كما يعزلهم عن واقع مجتمعهم الكبير بما يجري فيه من أحداث وما يتعرض له من مشكلات حقيقية.

إن خطورة هذا الجانب تتمثل في أن الأطفال الذين يجلسون أمام الشاشة الصغيرة لفترات طويلة، كما سبق ورأينا من قبل، قد يتصورون أن الحياة تجري بهذا النمط الذي يشاهدونه في الأفلام والمسلسلات، وأنها - دوما - ظريفة وهادئة.. بل وملونة ساحرة، تصاحبها الموسيقى التصويرية المدغدغة للأحاسيس والمشاعر، وهذا عزل اصطناعي للأطفال عن واقع الحياة بكل ما فيها، وهو قد يؤثر على تكوين هؤلاء الأطفال، وعلى

(١) عبد الرحمن الشبيلي، رؤية إعلامية. ظاهرة انتشار الفيديو في المجتمع السعودي، المجلس الأعلى للإعلام، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ص ١٧ - ١٨.

درجات استعدادهم للتعامل مع الحياة الواقعية بعد ذلك، يقول شلبي:

١- إن هذه البرامج (برامج الأطفال) تؤدي إلى عزلة الطفل والانفصام عن الواقع والهروب من مواجهة مشكلات الحياة.

٢- إنها تؤدي بالفعل إلى الخلط بين الوهم والحقيقة، الخيال والواقع، ومن ثم يفقد الطفل ميزة الحكم الدقيق على الأشياء وتقدير أهميتها أو عدم أهميتها.

٣- إن البرامج الخيالية تنمي في الطفل الميل إلى العدوان بدلاً من امتصاص طاقة الشر داخله.

٤- إن البرامج الواقعية تهيئ للطفل اكتساب خبرات ومهارات لا تحققها له البرامج الخيالية[١].

ويتحدث باحث آخر عن هذا البعد فيؤكد أن «الشاشة الصغيرة كالحلم تعطي الطفل انشراحاً متزايداً لتحقيق حاجات لا يمكن للواقع أن يحققها له، إلا أن التمييز بين الحقيقة والخيال يتوقف على طبيعة الصورة التليفزيونية نفسها، باعتبارها حقيقة ومقدمة للحقيقة من جهة، كما تتوقف على طبيعة الطفل نفسه من جهة ثانية[٢].

وفي الدراسة التي ترجمها عاطف العبد يقول: إن هليدا هيملويت وزملاءها قاموا بإجراء أول دراسة تجريبية شاملة حول التليفزيون والطفل من عام ١٩٥٥م وحتى عام ١٩٥٨م، وقد خرجوا بعدة نتائج من بينها نتيجة تهم موضوعنا هذا، وهو أن التليفزيون «يؤدى إلى ازدياد بقاء أفراد الأسرة

---

(١) كرم شلبي، مرجع سابق، ص ٧.
(٢) نواف عدوان، مرجع سابق، ص ٢٤.

في المنزل - ولكن - لا تتعدى العلاقة بينهم الوجود الجسماني»[١]، ومعنى ذلك هو عزلة كل فرد - بما في ذلك الأطفال - عن الواقع المعيش للأسرة، والاستغراق في البرامج التي يشاهدونها.

ويبين لنا الدسوقي مشكلة بُعد بعض البرامج عن الواقع الذي يعيشه الأطفال وخطورة ذلك، وخصوصا في أفلام الكرتون التي تجذب الأطفال إليها بشكل كبير جدا، حيث إن «هذه البرامج تقدم في شكل أفلام كاملة أو مسلسلات متعددة، وهي تعرض يوميا، أي أنها ملحة وهادفة، ودائمة الطرق على شخصيات الأطفال. ونظراً لأنها أفلام كرتون أو عرائس فهي تعتمد على الخيال الجامح المخالف لسنة الحياة والواقع الكوني، ولعلنا نتنبه لذلك جيدا، حيث يستطيع الإنتاج الكرتوني تحقيق ما يعجز عنه التمثيل البشري»[٢].

ويخلص الباحث السابق إلى عدد خطير من السلبيات لهذه البرامج، لخصها في النقاط التالية:

١- أنها خالية تماماً من القيم الإسلامية والتقاليد العربية، ومن ثم يقتصر العائد المرجو منها على أبنائنا على مجرد التسلية الخالية من الفائدة في كثير من الأحيان.

٢- تحتوي على قيم وأهداف تربوية معارضة وهادمة للقيم والأهداف الإسلامية العربية، وهذا - بطبيعة الحال - هو المتوقع، باعتبارها مكتوبة ومنتجة من منطلقات أيديولوجية وثقافية مخالفة لعقيدة وثقافة الإسلام، حتى يمكننا القول إن هذه الأفلام والمسلسلات تشكل خطراً

(١) عاطف عدلي العبد، مرجع سابق، ص ١٢٨.

(٢) فاروق أحمد الدسوقي، مدى تأثير القيم العربية الإسلامية على برامج الأطفال بدول الخليج العربية، ضمن بحوث ندوة «ماذا يريد التربويون من الإعلاميين»، مرجع سابق، ص ٣٠٣.

حقيقيا على عقيدة وثقافة وأخلاق أبنائنا .

هذا وقد ضرب لنا الباحث عدداً من الأمثلة من تلك البرامج الكرتونية التي توحي للأطفال بإيحاءات خطيرة، وخصوصا فيما يتعلق بالعقيدة، مثل المسلسل الكرتوني "God Zela" «الإله زيلا» (لا إله إلا الله) ذلك الذي تستدعيه الأسرة البشرية لإنقاذها من وحش خطير يعترض حياتها، فيأتي لينقذها . . !

«ولا شك أن هذا تصور وثني . . عنواناً . . وشكلاً . . ومضموناً . إن لم يفهمه الطفل العربى، بسبب اللغة عن طريق الحوار فإن الأحداث والمشاهد تترك بصماتها في نفسه، مما يشكل خطراً على فطرته الموحدة، إذ يكفي أن يظن الطفل أن هناك كائناً بهذه القوة وبهذا النفع للإنسان، يدعى في الحال، ليكون ذلك جرحاً لفطرته، وتحريفاً لتوحيده الفطري .

كذلك أشار إلى مسلسلات حروب الفضاء التي تقوم على افتراض وجود أعداء للبشر في كواكب أخرى يهددون الأرض، وهذا افتراض مخالف للواقع الكوني الذي أخبرنا به الله عز وجل في القرآن والسنة، فليس من مخلوقات عاقلة في هذا الكون سوى الملائكة والجن والإنس . والملائكة أولياء الإنسان، والجن منهم المؤمنون ومنهم الكافرون كالإنسان، وليس للإنسان من أعداء سوى شياطين الإنس والجن، وهم الكفرة من الإنس، والجن، والجميع يسكنون الأرض .

ولم يأت في القرآن ولا في السنة خبر عن مخلوقات فضائية يمكن أن تغزو الأرض وتهلك الإنسان، وبناء عليه فإن هذا الافتراض الذي تقوم عليه هذه الأفلام افتراض أسطوري خرافي، وهو نوع من العودة بالإنسان

المعاصر في الغرب إلى التفسير الأسطوري للكون والحياة بعد أن استغنى الإنسان الغربي عن التفسير الديني الذي يفسر كل شيء بإرادة الله وخلقه وتدبيره. ومن شأن هذه التفسيرات والافتراضات الأسطورية الخرافية تطبيع العقول بطابع خيالي غير علمي وغير واقعي، وهذا من شأنه إفساد مناهج التفكير عند الأطفال.

ولا يقال إن هذا نوع من الخيال العلمي؛ لأن الخيال العلمي يكون في مجال اختراع الآلات والأجهزة، وفي مجال الأحياء والأشياء التي يمكن إخضاعها للتجربة المعملية والصناعية. وفي الوقت نفسه يشترط فيه أن يكون خيالاً محكوماً بالقوانين الطبيعية، ومنضبطاً بالسنن الكونية، ومنطلقاً منها، ومؤسساً على حقائق علمية ثابتة، وليس على افتراضات خرافية خيالية.

كذلك من خطر هذه الأفلام الكرتونية أنها تصرف نظر الأطفال عن العدو الحقيقي، وهو الشيطان وحزبه من الإنس والجن، وذلك بجذب انتباههم إلى عدو وهمي ليس له وجود، وهو قادم من الفضاء البعيد. ولا شك أن لهذا التحريف في موضوع الصراع الحضاري في الأرض أثراً تربويا خطيراً على العقيدة والأخلاق والانتماء.

ثم إن من النتائج الأيديولوجية لهذه الأفلام تصور وحدة البشرية بإزاء عدو قادم من الفضاء، وهذا التصور وهم كاذب يستحيل تحقيقه، حيث أخبرنا الله - عز وجل - في كتابه المحكم بحتمية استمرار الصراع والخلاف بين البشر بسبب اختلاف الدين، قال تعالى: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾. وقد نبهنا الله - سبحانه وتعالى - إلى

عداء المشركين واليهود والنصاري الدائم والمستمر للمسلمين[١].

خامساً: تعطيل الكثير من النشاطات المفيدة:

ما دمنا تحدثنا عن مشاهدة الأطفال للتليفزيون لعدد كبير من الساعات على مدار الأسبوع فمما لا شك فيه أن هذه الساعات مقتطعة من نشاطات أخرى مفيدة كان من الممكن أن يقوم بها هؤلاء الأطفال، وأن يستفيدوا منها الكثير في بناء شخصياتهم، وكذا في تنمية هواياتهم العديدة مثل القراءة (الاطلاع) والكتابة وكثير من ألوان الرياضات المختلفة.

تقول إحدى الكاتبات: إن التليفزيون الذي يعطي الثقافة والمعلومات والتسلية يهز أواصر الأسرة هزا. وذلك كما نقلت عن إبراهيم إمام في كتابه (الإعلام الإذاعي والتليفزيوني). ومن آثاره أيضاً أن تعطلت الكثير من الهوايات المثمرة كالقراءة والكتابة، وتقيدت حركة الجسم، وحرم من الرياضة. كما نقلت عن عبد الرحمن عيسوى في بحثه (الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون[٢].

إن هذا الجهاز - التليفزيون- يحد من النشاط الحركي الطبيعي للأطفال، وأكبر دليل على ذلك نظرة عامة عابرة لهيئة الأطفال أثناء متابعتهم للبرامج: أجساد صغيرة مستلقية على الأرض.. على ظهورها، أو في حالة انبطاح على البطن، لا تكاد تتحرك.. ثم إنه يقلل من ساعات اللعب الذي هو أمر ضروري للأطفال، وبخاصة أن ساعات البث قد تطول أحياناً لتستغرق النهار من صبحه إلى مسائه. وهو والحال هذه يستحوذ على

---

(١) المرجع السابق، ص ص ٣٠٣-٣٠٥.

(٢) طيبة اليحيى، بصمات على ولدي، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص ٩.

الجانب الأكبر من اهتمامهم وأوقات فراغهم، وقلما يمر يوم لا يشاهدون فيه برامجه . . سواء في العطلة الصيفية أو في فترات الدراسة[١] .

ويقول عبد الصمد: «إن مُشاهد التليفزيون، وخصوصاً الطفل، يجلس أمام التليفزيون دون حراك، فاغر الفم، يشرب ما تقدمه الشاشة الصغيرة، وهو يكاد يكون كأنه قطعة إسفنج!

كذلك تولِّد المشاهدة في المشاهد روح المتفرج، وفقدان الأبحاث والدافع إلى العمل والحركة. إن جاذبية التليفزيون بما يتميز به من صورة، بجانب صوت، تجعل من أهم خصائصه الاستحواذ، بحيث إنه يستحوذ على مشاهديه، ولا يدع لهم فرصة الممارسة أو الانشغال بعمل آخر، مثل الراديو، بمعنى أنه يسيطر على سمع وبصر وعقل المشاهد. ثم إن المشاهدة تعطل طاقات الخيال، حيث يزود التليفزيون الطفل بخيالات جاهزة، ومن ثم يقل اعتماده على قدرات خياله الخلاقة، ومن هذا وذاك تنشأ ضغوط الخوف من أن جيل التليفزيون قد يتحول إلى جيل سمته عدم المبالاة[٢] .

وفي التقرير الذي نشرته مجلة اليونيسكو عن نتيجة الاستطلاع البياني عن وسائل الإعلام جاء ما يلي:

«إن فيض المعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام يعطل القدرات التأملية الخلاقة لدى الأطفال. وأوضح التقرير أن الأطفال كانوا ضحية لبرامج التليفزيون، والمجلات الهزلية. وذكر الآباء والمدرسون الذين شملهم الاستطلاع أن وسائل الإعلام أشد ضرراً بالنسبة للأطفال، وبخاصة البرامج الترفيهية الساقطة والمجلات الهزلية التي ترد إليهم»[٣] .

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٨.
(٢) محمد كامل عبد الصمد، مرجع سابق، ص ص ٩٨-٩٩.
(٣) منى حداد يكن، مرجع سابق، ص ٥٥.

سادساً: تأثير منظومة القيم لدى الأطفال:

مما لا شك فيه أن كل مجتمع، وبخاصة المجتمع المسلم، يحرص على أن ينشِّئ أطفاله في إطار مجموعة من القيم التي ارتضاها ذلك المجتمع، والتي يحرص عليها؛ لأنها تشكل سياجاً حافظاً لأفراد المجتمع يمنعهم من الزلل، ويحول بينهم وبين السقوط، وقد استمدت هذه القيم من الدين الذي يؤمن به أفراد المجتمع، وكذا من التراث الذي وصل إليهم عبر الأجيال السابقة، أو من الخبرات التي يمرون بها في واقعهم.

وجزء كبير من قيم المجتمع العربي المسلم الذي يتمركز الخليج فيه مستمدة من الدين الإسلامي الحنيف، مثل توقير كبار السن، وخاصة الوالدين، ومثل العطف على الصغير، والرحمة بالضعفاء والمساكين، والاهتمام بشؤون الجار ورعايته، وحب العمل والإخلاص فيه، والأمانة وضرورة تأديتها لأهلها، والصدق في الوعد والوفاء به.. إلى آخر هذه السلسلة الرائعة من القيم الإسلامية التي تربى عليها أجدادنا الغر الميامين الذين أنتجوا لنا الحضارة الإسلامية العظيمة التي نتغنى بها الآن ونعيش في ظلالها[١].

وجاء التليفزيون إلى حياتنا، وبدأ أطفالنا يتعرضون لأنماط جديدة من القيم الوافدة التي حملتها إليهم برامجه المختلفة والأفلام والمسلسلات. وبما أن قسطا كبيرا منها أنتج في مجتمعات مختلفةجذريا عن مجتمعاتنا فإن القيم التي حملتها إلى أطفالنا كانت مختلفة تماماً عما لدينا، وكان لا بد أن تتأثر الأجيال الناشئة بما تشاهد وبما تسمع مما يعرض عليها من برامج التليفزيون*.

(١) من أراد الاستزادة في هذا الجانب يمكنه الرجوع لكتاب الدكتور علي خليل مصطفى أبو العينين: القيم الإسلامية والتربية، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة، ١٤٠٨-١٩٨٨م.

(*) يعرض في إحدى قنوات البث المباشر الواسعة الانتشار في منطقة الخليج - حاليا مسلسل مدبلج =

ومن بين القيم التي تأثرت لدى أطفالنا - لا شك - قيمة المرأة التي اعتاد الطفل، وخصوصا في منطقة الخليج، أن يراها أما رحيمة، أو جدة عطوفة، أو قريبة رقيقة مهذبة، ولكنها قدمت إليه في التليفزيون بصورة مختلفة فهي في التمثيليات والأفلام والمسلسلات شيء آخر أبعد ما يكون عما عرفه وألفه، وهي في الإعلانات التليفزيونية شيء أقرب إلى الابتذال والهبوط. وإذا علمنا أن المنتجين والمخرجين يهتمون كثيراً جدا بتقديم ما يعرضونه من منتجات من خلال فتيات هن أبعد ما يكن عن الاحتشام والاحترام تبين لنا المعنى الذي نقصد.

نقل العمر عن مجلة «الإصلاح» الصادرة في دبي ما يلي: «نشرت رسالة ماجستير بعنوان (صورة المرأة في إعلانات التليفزيون)، وذلك في إحدى الدول العربية، اعتمد فيها البحث على ما يلي:

١- تحليل مضمون (٣٥٦) إعلاناً تليفزيونيا، بلغ إجمالي تكرارها (٣٤٠٩) خلال ٩٠ يوماً فقط.

٢- مسح شامل لإدارة الإعلانات بالتليفزيون.

٣- مقابلات مع عدد من مديري وكالات الإعلانات.

وقد توصل الباحث إلى عدد من النتائج، من أهمها:

١- استخدمت صورة المرأة وصوتها في (٣٠٠) إعلان، من بين (٣٥٦)، وكررت قرابة (٣٠٠٠) مرة في (٩٠) يوماً.

٢- ٤٢٪ من الإعلانات التي ظهرت فيها المرأة لا تخص المرأة.

٣- سن النساء اللاتي ظهرن في الدعاية تراوح بين (١٥-٣٠) سنة فقط.

= وصلت حلقاته قرابة المائة. والمسلسل يدور حول أحداث عشق وغرام ومؤامرات وحكايات تافهة، وكان سبقه مسلسل آخر صور العشيقة باعتبارها البطلة، وجعل علاقتها المحرمة مع أحد الأزواج محور معظم حلقاته، بينما صور الزوجة بصورة رديئة جعلت الناس ينفرون منها ويتعاطفون مع العشيقة. وقد فزع أحد الأصدقاء حين وجد ابنته سعيدة لهذه النهاية، كما أخبرني، ومعناه أن المسلسل قد نفذ إلى عقلها ومشاعرها كما أراد مخرجوه!!

٤- ٧٦٪ من الإعلانات اعتمدت على مواصافات خاصة في المرأة كالجاذبية والجمال، ٥١٪ على حركة جسد المرأة، ٥,١٢٪ من هذه الإعلانات استخدمت فيها ألفاظ جنسية.

٥- إن الصورة التي تقدم للمرأة في الإعلان منتقاة وليست عشوائية[١].

تقول إحدى الباحثات: «وقيم التليفزيون ركام هائل من الغث، يختلط به القليل من السمين جنباً إلى جنب دون مغزى أو هوية.. إذ تتوالى الإعلانات والموسيقى والأغاني والتمثيليات والخطب السياسية والأحاديث الدينية والصور الرخيصة والمناظر الداعرة، وبخاصة إعلانات الأفلام والمسرحيات، وكل ذلك تتابع بشكل رخيص ومبتذل، حيث يضم السوقي والرفيع، والحوشي والرقيق، والهادئ والعنيف، يطمس الحقيرُ العظيم، ويطغى المعني الهابط التافه على المعنى القدسي السامي، وحيث يرتفع الركام في شكل أكوام دون احتفال أو تمييز، وبلا اكتراث أو مبالاة.

وإن من أكثر المواقف انحطاطاً وتناقضاً أن تكون البرامج والحلقات وبخاصة المقدمة للأطفال، تكون بطلتها ممثلة.. أو راقصة.. وتأتي بكامل بهرجها.. وتبرجها وتميعها وزينتها لتعلم الأطفال.. الفضيلة.. والقيم.. والأخلاق.. وبطريقة.. راقصة[٢]. ومما لا شك فيه أن الأطفال الذين يرون كل ذلك ويتعرضون له تهتز قيمهم ولا يعرفون الصواب من الخطأ.

ولكي نضع هذا الجانب القيمي في إطاره الصحيح نقرأ ما كتبه - حديثاً جدا وبناء على دراسة ميدانية في السعودية - واحد من أبناء الخليج: «يعد البناء القيمي من أهم أركان التنشئة الاجتماعية للطفل منذ سنه المبكرة، وكلما كانت التوجهات القيمية للطفل متسمة بالإيجابية كان ذلك دافعاً له

(١) ناصر بن سلمان العمر، البث المباشر حقائق وأرقام، مؤسسة الجريسي، الرياض، ١٤١٢هـ، ص ٧١.

(٢) طيبة اليحيى، مرجع سابق، ص ٢٦.

على المضي نحو آفاق مستقبله، محصناً بالدعامات التي تمكنه من التعامل مع الحياة على التوجهات القيمية للطفل تحت عدد من المؤثرات[١].

سابعاً: تأثر أخلاق الأطفال:

إذا سلمنا بأن الإعلان يلعب دوراً مهما في التربية باعتباره مؤسسة من المؤسسات المهمة في المجتمع، بجانب الأسرة والمسجد، والمدرسة والنادي والمكتبة.. إلخ، إذا سلمنا بذلك، وسلمنا بأن التليفزيون هو أهم وسائل الإعلام، وصولاً إلى الأطفال وتأثيراً فيهم فإننا على وجه اليقين نتوصل إلى أن للتليفزيون تأثيراً واضحاً في أخلاق الأطفال باعتبار ما يقدم فيه من برامج ومسلسلات يأتي نصيب كبير منها من خارج منطقتنا، وهو بعيد - على وجه اليقين- عن الأخلاق التي يطالبنا بها ديننا الإسلامي الحنيف.

هذا وقد دلت بعض الدراسات الميدانية التي أجريت في المنطقة العربية على تأثير التليفزيون على الأطفال - كما يقول شلبي - دلت على تقديم النماذج«القدوة» أو «الأبطال» وهم يستعينون على حل مشكلاتهم باللجوء إلى احتساء الخمر والتدخين، وربط ذلك بالقدرة على التفكير السليم، والوصول إلى حل المشكلات والخروج من المآزق، وطرح مفهوم «البطولة» على أنها نوع من المغامرات الجنسية أو العاطفية، وتصوير الخيانات الزوجية على أنها عواطف مشروعة، واستخدام كلمة «الحب» كبديل عن كلمة «الزنى»[٢]. ولا يختلف اثنان فيما يسببه كل ذلك من انحرافات خطيرة في أخلاق النشء.

---

(١) ساعد العرابي الحارثي، أثر الإعلان التليفزيوني على الطفل السعودي، دراسة ميدانية، المجلس الأعلى للإعلام بالمملكة العربية العودية، الرياض، ١٤١٣هـ، ص٨٦.

(٢) كرم شلبي، مرجع سابق، ص ١٨.

إنه - أي التليفزيون- من خلال بعض مسلسلاته وأفلامه يعود على التغاضي عن كثير من الفضائل الاجتماعية، بل إن باب الهدم فيه أعظم، بما يخدش من حياء، وما يحطم من قيم، وما يقوم على رذيلة، بل الأدهى.. هو ما يهدم من أحاسيس، وما يقر من تعويد على استمرار المنكر، حتى صار المنكر معروفاً، والمعروف منكراً.. والأمثلة على ذلك أكثر من أن نستقصيها، لكنا نورد منها نماذج للإيضاح فقط، فمن أمثلة ذلك:

* أننا صرنا نتقبل أن يحتضن رجل فتاة شابة؛ لأنه يمثل دور أبيها، وصدقنا ذلك ولم نعد ننكره، بل نحن مطالبون بأن نأخذ الأمور بعفوية وطبيعية!!

* صرنا لا ننكر وجود رجل وامرأة في وضع الزوجين.. بل إن من يتقن ذلك نصفه بأنه (ممثل محترم)، وأنها (ممثلة قديرة)، ومن يجهر بالإنكار فهو ضيق الأفق عقيم الخيال!!

* وصرنا لا ننكر على من تظهر حاسرة الرأس. كاشفة الشعر والرقبة والذراعين والساقين، ونعتبرها محتشمة.

* كذلك مناظر احتساء الخمور والتدخين والاغتصاب والسرقات والقتل والسباب بأفظع الألفاظ.. مع أن هذه الأوضاع جميعها مصادمة لأمر الله عز وجل[(١)].

ويؤكد عبد الصمد خطورة الجوانب الأخلاقية الرديئة المتضمنة في الإعلانات التي تستوردها تليفزيوناتنا من الخارج بنسبة ٩٠٪. وإن الأطفال بلا شك يتأثرون بها؛ إذ هم في بعض الأحيان يتقمصون الشخصيات التي تمثل هذه الإعلانات ويحاولون القيام بأدوارها، وذلك - بطبيعة الحال - دون أن يدروا أو يعوا مخاطر ذلك[(٢)].

---

(١) طيبة اليحيى، مرجع سابق، ص ص ١٠-١١.
(٢) محمد كامل عبد الصمد، مرجع سابق، ص ص ١٣-١٤.

ثم إنه «لو قدر للأغنية العربية التي يحملها الإعلام عبر الأثير إلى الأذن، ومعها حركات المطرب أو المطربة واللوحة المرافقة من الراقصين والراقصات إلى العين، أن تكون كلمات واحدة تختلف أحرفها، وأداءً واحداً يختلف أسلوب النواح فيه، ولكنها جميعاً تلتقي حول الحرمان والهجران والحب والصد والدمع والسهر والألم والأنين والجراح»[١].

ويركز باحث آخر على قضية الانحرافات الأخلاقية التي نقلها التليفزيون من مجتمعات أخرى إلى مجتمعاتنا ويتأثر بها أطفالنا وشبابنا «حيث إن الإنسان مولع بفطرته بتقليد غيره، وحيث إن المقلد يعطى فرصة الظهور الملون والمزركش والمزخرف في التلفاز، وبصورة محببة جاذبة للنفس البشرية فإن ما يجرى من تغييرات أخلاقية اجتماعية، وبسرعة متزايدة عند الناس سببه المباشر التلفاز؛ حيث هو المسؤول الأول عن نقل أخلاق وعادات ومشكلات بيئات الممثلين والممثلات المنحرفة والشاذة إلى بيئات المشاهدين النظيفة الطاهرة. ومن ذلك ما يتعلمه الأطفال الأغرار، بل والشباب أيضاً، من طرق فنية أو علمية حديثة لسرقة البيوت والبنوك والمحلات، فيحاول بعض هؤلاء تطبيق هذه الأساليب (الفنية) في أقرب فرصة، وعلى أقرب مكان. . ومن ذلك أيضا ما تتعلمه الفتيات الصغيرات والجاهلات المراهقات من أساليب الخديعة والكذب والمكر مع أهلهن عندما يحاولن تقليد الممثلات باللقاء المحرم بالشباب، الأمر الذي يؤدي إلى وقوعهن في الفساد، وما ينجم عنه من تلويث سمعة العائلات النظيفة الطاهرة، فوق ما ستجنيه من عذاب الآخرة وفساد دنياها، ومن ذلك أيضاً: محاولة تقليد الممثلات في لبسهن الفاضح عادة الأمر الذي يجر المقلدات

(١) منى حداد يكن، مرجع سابق، ص ٣٥.

الجاهلات إلى الفساد في أنفسهن من جهة، وإفساد غيرهن في المجتمع من جهة أخرى[١].

هذه إذن هي بعض إيجابيات التليفزيون وسلبياته، كما رصدها الكتاب والباحثون في شرق وفي غرب، وكما لمسها بعضهم هنا في منطقتنا العربية، ولسنا ندعي أننا أحطنا بها جميعاً وإنما حاولنا الاقتراب من بعضها، وبخاصة التي شدت انتباه الكتاب والباحثين، وقد يمكن التفصيل فيها أكثر من ذلك، بل هو ممكن بالفعل، ولكن بالنسبة لهذه الدراسة نعتقد أن ماورد منها يكفي ويفي بالغرض المطلوب.

ويبقى بعد ذلك أن يركز الحديث على أطفال الخليج العربي، وعلى ما أتيح لهم أن يستفيدوه من تنمية في شخصياتهم عن طريق التعرض لبرامج التليفزيون وأفلامه ومسلسلاته، ويمكننا أن نعتبر ذلك ضمن الجوانب الإيجابية للتليفزيون، وما مسهم منه من شرارات اعتبرها الكثيرون أجراس إنذار كادت تحرق، أو تمس بالحرق - والعياذ بالله - ذلك الغرس الغض الذي ما زال يتلمس طريقه للنمو، والذي ينبغي على الجميع أن ينتبهوا له؛ لأنه يمثل الأمل الذي يحلم الخليج به، لأنه إذا كان أصحابه أطفالاً اليوم فهم شباب ورجال الغد الذين عليهم أن ينهضوا بمجتمعاتهم فيما بعد، ومن هنا فإن الانشغال بهم وبما يعترض طريقهم واجب الجميع الذي لا يحتمل التفريط أو غض الطرف عنه، وسوف يكون ذلك هو موضوع الفصل التالي إن شاء الله.

---

(١) عوض منصور، التليفزيون بين المنافع والأضرار، مكتبة المنار، الأردن- الزرقاء، ١٤٠٥هـ، ص ص ١٤-١٥.